سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ (٦٥)

وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا

لفضيلة الشيخ
أ.د. عبد السلام بن محمد الشويعر

الشيخ لم يراجع التفريغ

وما آتاكم الرسول فخذوه

وما نهاكم عنه فانتهوا

00966558883286

YouTube/alshuwayer9

alshuwayer9

للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛ يرجى المراسلة على البريد التالي:

tafreeghalshuwayer@gmail.com

سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ

(٦٥)

وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا

لفضيلة الشيخ

أ.د. عبد السلام بن محمد الشويعر

النسخة الأولى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحبه ربُّنا جَلَّ وَعَلَا ويرضاهُ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبد الله ورسوله، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا كثيراً إلى يوم الدين.

ثُمَّ أمَّا بعدُ:

❐ **إنَّ لقائنا في هذه الليلة في تفسير آية عظيمة من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وكل كلام الله جَلَّ وَعَلَا عظيم.**

۞ وهذا الكتاب الذي أنزله الله عَزَّوَجَلَّ علينا، وامتنَّ به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن جعله لنا كتابا معجزا، هذا الكتاب جاء في خبره ونعته ووصفه، ما رُوِّينا عند الترمذي، من حديث الحارث الأعور عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كِتَابُ اللهِ فيهِ خَبَرُ مَا قَبْلَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الجِدُّ لَيْسَ بِالهَزْلِ، مَا تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ إِلَّا قَسَمَهُ الله، لا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، فيهِ خَبَرُ مَنْ قَبْلَكُمْ، وَنَبَأُ مَنْ بَعْدَكُمْ**».

۞ ولذلك فإن هذا القرآن العظيم، **قال أهل العلم كالشافعي في «الرِّسالة»**: إنه لا يمكن لامرئ أن يعرف كل معانيه، ولا أن يكون محيطا بكل دلائله وتفسيره، قال: إلا أن يكون نبيا من أنبياء الله جَلَّ وَعَلَا يوحى له.

۞ ولذلك فإن هذا الكتاب العظيم، مهما أطال المرء النظر فيه، وأدام التأمل في معانيه، فلا بد وأن يظهر له من المعاني ما لم يظهر، ويخفى عليه الشيء الكثير.

۞ ولذلك فإن المسلم إذا انشغل بتفسير كتاب الله عَزَّوَجَلَّ والنظر فيه، ولو في بعض آياته، فإن فيه شُغلا عن كل شُغل، والعجيب -أيها الإخوة- أن هذا الكتاب مع إعجازه

كله، إلا أن في آيات منه تفضيلا عن غيرها، وتمييزا عمَّا سواها، ولذلك ألَّف الشيخ تقي الدين -عليه رحمة الله- كتابه المشهور: «**جواب أهل الإيمان في بيان أنَّ قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن**».

۞ فهذا القرآن العظيم عظيمٌ في كل آياته، وبعض آياته أفضل من بعض، وبعضها أجلُّ معنى من بعض، **ومن معتقد أهل السنة والجماعة** أن بعض آيات كتاب الله عَزَّوَجَلَّ أفضل من بعض، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**».

۞ وهذا الكتاب كما ذكرت لكم -أيها الإخوة- أن فيه آيات عظام، حتى قال الشافعي -رحمة الله عليه-: «**إن الله عَزَّوَجَلَّ لو لم ينزل علينا إلا سورة واحدة، وهي سوره العصر لكفتنا**»، وهي قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ - ٣].

والآية التي نجتمع في هذه الليلة الطيبة المباركة في مذاكرتها، ومدارستها، والبحث في معانيها، والغور في دلائلها، هي قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

● هذه الآية -أيها الإخوة- آية حوت من المعاني الشيء العظيم، ولو أراد المرء أن يجمع كل معانيها، ودلائلها، لأخذ منه ذلك شيئا كبيرا، ويكفي أن المرء يعلم أن هذه الآية هي المفصل بين الإيمان وبين الكفر، بل إنها علامة الفرق بين الإيمان والنفاق، ولذلك لمّا أُسري بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبيت المقدس، ثم عُرج به إلى السماء السابعة، أصبح للناس يتحدث، ويقول لهم إنه قد أُسري بي، وعُرج بي إلى السماء السابعة فكان المشركون بين

مصفّق، وبين واضع يديه على رأسه عجبا، حتى إن بعض الحاضرين كانوا قد آمنوا بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن لما جاءهم هذا الخبر منه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارتدّوا على أدبارهم، فكان أول مرتد، أن ارتد بعد هذا الخبر، أي في قصة الإسراء والمعراج.

فالمقصود من ذلك: أن الإيمان والتصديق، والأخذ بما آتى الله عَزَّوَجَلَّ رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو فرقان بين الإيمان وغيره. وما سمي الصِّديق صدِّيقا إلا أنه لما قيل له إن محمدا يزعم أنه أُسري به، وعُرج في يوم، ورجع إلى بيته، ولم يأخذ ذلك منه أقل من ليلة! **قال الصديق** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**إن كان قالها فقد صدق**». **إذن**: هذا هو المحك.

● هذه الآية -أيها الإخوة- يقول فيها ربنا جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]، فقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَآ﴾ هذه بمعنى: الذي، فيشمل كل شيء جاء به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن المؤمن يأخذه، ويعمل به، ويعتقده. وهذا يدلّنا على أن كل الأحاديث لا فرق بين بعضها عن بعض، وأنها كلها في الحكم سواء، وأنها يجب الإيمان بها جميعا، ويجب العمل بها جميعا في الجملة.

● وقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ [الحشر: ٧]، هذا من جوامع الكلم وبليغه، فإن الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾، ولم يقل الله جَلَّ وَعَلَا: «وما أمركم به الرسول فامتثلوه»، وإنما قال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ﴾، إذ ما جاء عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشمل أمرين:

- إما أن يكون خبرا.
- وإما أن يكون أمرا وإنشاء.

فالخبر يجب الإيمان به والتصديق، والأمر يجب العمل به. فحينئذ يجتمع للمسلم أمران يجب العناية بهما؛ الخبر، والإنشاء والأمر. ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، **أي:** الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وهذه مسألة مهمة يجب أن ننتبه لها، وأن نقف عندها بعض الشيء. فإن ما جاء عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إن كان خبرا، فالخبر من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يشمل أمرين:

- يشمل خبرا عما سبق.
- أو يشمل خبرا عما سيأتي.
- وكذلك يشمل أمرا ثالثا وهو الإخبار عن الله جَلَّ وَعَلَا.

إذن: أخبار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ثلاثة أشياء.

فالخبر عما سبق: هو إخبار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عن بدء الخليقة، وإخبار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عن خبر أنبياء الله جَلَّ وَعَلَا، وخبر بني إسرائيل. فكل ما جاء من الخبر عن هذا فإنه يجب على المسلم أن يؤمن به، وأن يصدِّق به.

والنوع الثاني: الإخبار منه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عما يكون في آخر الزمان، وهذا الإخبار متعلق بالإيمان بالله جَلَّ وَعَلَا. الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشرِّه.

فما يخبر به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عن أشراط الساعة صغرى وكبرى، وما يخبر به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عما يكون بعد موت الآدميين في برزخهم في القبر، وما يخبر به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عما يكون بعد قيام الساعة، وما يخبر به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عن الجنة والنار وما فيهما، كل ذلك مما يجب الإيمان به.

ولذا فإن علماء السنة في كتب العقائد يذكرون في العقائد: «**أخبارا**»، فيذكرون ما يكون من اعتقاد أهل السنة بالإيمان بعذاب القبر والبرزخ، وهذا مصداق قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦]، قالوا فحينما أثبت الله جَلَّ وَعَلَا في كتابه العذاب على أهل القبر، فإنه بضدّه ثبتت السنة، وهو النعيم لهم، وكذلك نقول فيما عداه، ولكن الذي لا يؤمن، ولا يصدّق، ولا يأخذ ما قاله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الخبر، تجده يأوّل ذلك، ويصرفه عن وجهه، ويجعله على غير ظاهره، وهنا يأتي الشر.

والذّين يخالفون الظاهر نوعان: نوع يتأوّله، ونوع ينزّله، في أخبار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي تكون في أخبار يوم القيامة، وأشراطها الصغرى والكبرى، وكلا طرفي الغلو ذميم، -وانتبه معي في العبارة التي قلتها قبل قليل-، الناس يخطئون في أخبار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نوعين:

- فبعضهم يتأوّلها، بمعنى أنه يصرفها عن معانيها، ويقول إن ما قاله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خبر كذا، فمعناه كذا، ويأتيه إلى أمور بعيدة لا تدل عليها ظواهر النصوص، والأخبار لا تقبل تأويلا، وإنما الأخبار تُمَرّ على ظواهرها كما جاءت، وهذا واضح في أن كثير من الناس عندما يخبر عن هذه الأشياء فيقول إن المقصود بها كذا وكذا من الأمور التي فيها تأوّل بعيد.

- والنوع الثاني: وكلا طرفي الغلو ذميم كذلك، وهم شركاء في الخطأ، من يُنزّل بعض هذه الأشراط الصغرى والكبرى على غير ما نُزّلت له. جاء في الصحيح أن أبا هريرة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يحدّث أصحابه عن بعض أشراط الساعة، وكان مما ذكر فيها أن أبا هريرة أخبر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن هلاك هذه الأمة على يد أُغَيْلِمَة من قريش. قال الراوي: فذهبنا إلى دمشق، فرأينا ولاة بني أمية وقد ولي بعضهم الخلافة وهم دون العشرين، بل بعضهم كان ربما ولي وهو دون ثمانية عشر عاما، فقال لمن حدّثه بهذا الحديث: أهؤلاء الذين عناهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث؟ فقال: لا أدري.

إذن: من الأمور الخطيرة: أن تُنزَّل أحاديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأخبار على الظن، وكثيرا ما سمعنا في كثير من أخبار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها نُزّلت، فالذين نزَّلوا ما جاء وثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خبر المهدي، نزَّلوه على أكثر من مائة رجل، في كل مصر وفي كل عصر، فينزّلونه على ظنهم، وعلى وهمهم، وقد جاء في الخبر أن الذين يعرفون الحقائق على وجهها إنما هم أهل العلم، ولذلك لما يأتي آخر الزمان، ويخرج الدجال، وقد أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن خبره بأمر عجيب، أن الناس يشكّون فيه شكًّا عجيبا، حتى إن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما خبّر بالتحديث به، كان بعض الحاضرين معه قد بلغ منهم الحماس، وبلغ منهم شدة التيقن بعدم قبوله، قال: لو خرج فينا الدجال لضربناه بالنعال. **فقال له ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** عليك قولك، فلو خرج فيكم الدجال لاشتكيتم الحفاء من شدة فتنة الناس.

أعود لكلامي فأقول: إن الدجال إذا خرج في آخر الزمان، يكون الناس مفتونين به، ويظن كثير من الناس صوابه، فإنه يدّعي دعاوى كثيرة في أول أمره وآخره، ولا يستبين أمره إلا لأهل العلم، ففي الصحيح أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر أنه إذا أتى الدجال إلى المدينة،

حاصـرها فرجفت بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج من كان في قلبه نفاق من أهل المدينة يظنون صدق هذا الرجل، فيخرج رجل من أهل المدينة يقول: أنا سآتيكم بخبره. فإذا خرج إليه، ونظر إليه، عرف نَعْتَه الذي نَعَتَه به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فمحل الشاهد من هذه القصة ما هو؟

أن الأخبار التي تأتي عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في أخبار يوم القيامة، أن الإيمان بظواهرها لازم، فلا تؤول ولا تصـرف، وفي نفس الوقت لا تُنزّل على مظنونات، ولا تُنزّل على غير ما قاله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن ذلك يضعفها في القلوب.

إذن: أخبار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي جاء في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]، ثلاثة أشياء:

- إخبار عما سبق.
- وإخبار عما سيأتي.
- وإخبار عن الخالق جَلَّ وَعَلَا.

وهذا الباب وهو الإخبار عن الله جَلَّ وَعَلَا باب عظيم، زلَّ فيه فئام كثير، فإنهم لما جاءتهم وسـمعوا صـفات الجبار جَلَّ وَعَلَا، أرادوا أن يصـرفوها عن معانيها، فأخطؤوا، وقد جاء عند عبد الرزاق، أن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا كان جالسا ذات يوم، فحدّث بأحاديث فيها ذكر صـفات الجبار جَلَّ وَعَلَا، فكان من الذين يحضـرون معه رجل فانتفض، فقال: عليك أمرك، فقد كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحدّث بهذه الأحاديث أصـحاب رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يفعلون ما تفعل.

فالمؤمن **إذن:** إذا جاءه خبر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صحَّ به النقل، قال: على العين والرأس، آمنت بما قاله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصدّقت بما أخبر به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ولذلك -أيها الإخوة- فإن الناس في الإيمان يتفاضلون بثلاثة أشياء:

- يتفاضلون بتصديقهم: وهو هذا الباب.
- ويتفاضلون بعملهم.
- ويتفاضلون كذلك باعتبار علمهم، وهذا سنذكره إن شاء الله في آخر الحديث عن هذه المسألة.

والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قام مرّة يحدّث، قال إن رجلا ركب على بقرة، فالتفتت إليه البقرة، وقالت: إني لم أخلق لهذا، وإنما خلقت للحرث. فلم تخلق البقرة للركوب، وإنما للحرث. فقال الحاضرون: أتتكلم بقرة؟ فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فإنِّي أُومِنُ بذلكَ، وأَبُو بَكْرٍ، وعُمَرُ**». قالوا: ولم يكن أبو بكر وعمر حاضران ثمَّ.

إذن: المقصود -أيها الإخوة- المؤمن الذي يعمل بهذه الآية كمال العمل، إذا جاءه الخبر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وما عرفنا الوحي من الله جَلَّ وَعَلَا إلا من طريق نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فإنه يؤمن ويصدق ويوقن، لا يسعى في تأويل، ولا يبحث عن صرفٍ للمعاني على ظواهرها، ولا يأتي بغرائب الأمور، وإنما يقول: آمنت بمراد الله جَلَّ وَعَلَا، آمنت بكلام الله جَلَّ وَعَلَا على مراده، وآمنت بكلام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أوحاه إليه ربه على مراد الله جَلَّ وَعَلَا، إذ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا ينطق بالكلام من عنده، وإنما هو الوحي من ربه جَلَّ وَعَلَا، ألم تسمع قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ

٤﴾ [النجم: ٣ – ٤].

إذن: يقول ربنا جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]، مرَّ معنا أن ما أتى من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خبر، وأمر. وأن الخبر من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة أشياء:

- خبر عما سبق قبله
- وخبر عما سيأتي بعده
- وخبر عن ربنا جَلَّ وَعَلَا.

وكله يجب الإيقان به والإيمان.

النوع الثاني مما أتى عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد الخبر: وهو الأمر. فإن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينقل وحي الله جَلَّ وَعَلَا، ويبلغه، وما ينطق من نفسه، وإنما يخبر عن ربه جَلَّ وَعَلَا، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣ – ٤]. وأمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو السنة، فمن امتثل أمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد فاز.

وأذكر لكم حديثا عجيبا في فضل من امتثل أمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مقابل الآخر، إذ الناس ليسوا سواء في الامتثال، فبعضهم أكثر من بعض. ثبت عند الإمام أحمد بإسناد صحيح، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي، وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الصَّلَاةِ مَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا إِلَّا عُشْرُهَا، تُسْعُهَا، ثُمُنُهَا، سُبُعُهَا، سُدُسُهَا، خُمُسُهَا، رُبُعُهَا، ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا**». فبيَّن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الناس يصلّون، فأفعال صلاتهم سواء، والوقت الذي يمكثونه سواء، والهيئة في الظاهر سواء، ولكن بعضهم أجره أضعاف أجر الآخر، بل إنها تصل إلى عشرة أضعاف، فذكر أن بعضهم له عشر الأجر، وبعضهم له الأجر تامًّا، الفرق في ذلك بين هذين

الرجلين، أمران:

- بسبب ما وقر في قلبه من الإخلاص لله جَلَّ وَعَلَا.
- وبسبب متابعتهم للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولذلك الناس مبتلون ابتلاءً، ويمتحنون امتحانًا بهذه الآية: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

اسمع قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ ليبلوكم: من باب الابتلاء. ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

قال الفضيل بن عياض لما سئل ما أحسن العمل؟ قال: «إن أحسن العمل أصوبه وأخلصه»، قالوا: كيف يا أبا عبد الله؟ قال: «**إن العمل إذا لم يكن خالصا لله لم يقبل، وإذا لم يكن صوابا على سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يقبل**». إذ الناس مبتلون بسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأخبرك بحديث عجيب وغريب في لفظه، فقد ثبت في مسند الإمام أحمد، من حديث عقبة بن عامر، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: هلاك أمتي في ثنتين: -أي أن أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يهلكون في ثنتين-، قال: أما أحدها فالكتاب -يعني القرآن-، وأما الثاني فاللبن. قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: أما الكتاب فإنهم يتأولونه على غير وجهه، وأما اللبن فإنه يحملهم حب اللبن على أن يبدون فيتركوا الجمعة والجماعة فيهلكوا.

إن كثيرا من الناس إنما هلك في كتاب الله جَلَّ وَعَلَا لما صرفه عن غير مراد الله جَلَّ وَعَلَا الذي يعرف بنقل السنة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ولذا لما ناظر ابن عباس الخوارج، قال له

علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**ناظرهم بالسنة، وبقول الصحابة، فبه يكون فهم الكتاب**»، أي كتاب الله جَلَّوَعَلَا.

المقصود من هذا -أيها الإخوة- أن ما آتانا النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من الأمر، فإن هذا الأمر يجب اتباعه.

وأذكر لكم خبرا عن أصحاب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والاقتداء بحالهم فيه كمال الهدى، ومن نظر في سيرة أولئك العظماء -أعني أصحاب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- فقد نظر في حال الكُمَّل من الناس بعد الأنبياء، ومن اقتدى بهم فإنما يقتدي بالذين شاهدوا تنزّل الوحي، واقتبسوا من مشكاة النبوة -رضوان الله عليهم-.

جاء أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان يوما على المنبر يتكلم، ويعظ، ويذكّر الناس، فبينما هو على هذه الهيئة، إذ قام رجلان في مسجد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يتلاحيان، ومعنى كون أنهما يتلاحيان: بمعنى أن بعضهم يرفع صوته على بعض، ولذلك فإن رفع الصوت بمحضر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ممنوع، حتى إن المؤمنين قد عوقبوا بسبب أنهم تلاحوا بمحضر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فقد ثبت في الصحيح أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**أُرِيتُ ليلة القدر، فخرجت فإذا رجلان يتلاحيان فَنُسِّيتُها**».

قال أهل العلم: فعوقب الناس بفوات معرفتهم ليلة القدر بسبب أنهم رفعوا صوتهم بمحضر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فالمقصود من هذا: أن الصحابة -رضوان الله عليهم-، حينما كان يعظهم النبي

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قام رجلان يتلاحيان، فقال لهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اجلسوا، اجلسوا. فبينما يقول هذه الكلمة، إذا بعبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يلج المسجد مع الباب، فسمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «اجلسوا». فجلس على الباب سادًّا له، جالسا على عتبته. فنظر إليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا أبا عبد الرحمن ما أجلسك هذا المجلس؟ لأنه لا يجوز الجلوس في الطرقات، بل إن الصلاة في الطريق، إذا كان سالكا، أي ما زال الناس يمرّون معه باطلة، في قول كثير من أهل العلم، وهو المشهور من مذهب الإمام أحمد والشافعي. فقال ابن مسعود: -انظر إلى هذه الكلمة العظيمة- يا رسول الله سمعتك تقول للناس اجلسوا، فخشيت أن أخالف أمرك فأهلك.

إذن: المؤمن -أيها الإخوة- إذا سمع سنة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرح بها، وقال إنها على العين والرأس، سمعا وطاعة لله ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يفرح أن عرف سنة فعمل بها، فيعظم أجره عند الله جَلَّ وَعَلَا، ويزداد فضلا ومثوبة عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولذا فإن معرفة هذه السنة هي المحك بين الإيمان وغيره. اسمع قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]. إذا أمر، إذا جاءك الأمر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعرفت وجهه، وعرفت مخرجه، وكان مخرجا صحيحا في نقله، ومخرجا صحيحا في فهمه معا، فإنه حينئذ يلزم الامتثال، ويلزم العمل، وهذا هو المحك بين الناس. ولكن -كما ذكرت لك- الناس ليسوا سواء، فضَّل الله بعض الناس على بعض، وفضَّلهم في الدرجة كذلك، فبعض الناس بعضهم فوق بعض.

● **إذن:** يقول ربنا جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]، ﴿وَمَا آتَاكُمُ

ٱلرَّسُولُ﴾، وعرفنا أن ما آتانا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمران:

- أمر يتعلق بالخبر.
- والأمر الثاني يتعلق بالإنشاء والأمر.

● وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَخُذُوهُ﴾: هذه من رحمة الله جَلَّ وَعَلَا.

فقوله ﴿فَخُذُوهُ﴾: فإن كان خبرا فآمن به وصدِّقه. وقد سبق معنا أن الناس في الأخذ والتصديق ليسوا سواء، كيف أن الناس ليسوا سواء في الأخذ؟

اسمع قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: أريت فلانا وفلانا -يذكر من أصحابه-. قال: وأما فلان كان أخذه ضعيفا، فالله يغفر له، في رؤيا رآها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. في رؤية رآها أنهم يأخذون من ماء من دلو، وكان بعض أخذهم أضعف من بعض.

فالناس في الأخذ بعضهم أضعف من بعض، وفي الامتثال كذلك، فالفرق: يختلفون في التصديق، وفي العلم كما سيأتي في آخر حديثي عند نهاية هذه الآية.

● ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]، **إذن:** يلزم التصديق به، وأنه من الله جَلَّ وَعَلَا، ووحي منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أوحى به للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

● وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَخُذُوهُ﴾: أي فامتثلوا به إن استطعتم. ولذلك يقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: -وهذا من رحمة الله جَلَّ وَعَلَا بنا- أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**ما نَهَيْتُكُمْ عنْه فَاجْتَنِبُوهُ، وَما أَمَرْتُكُمْ به فَافْعَلُوا منه ما اسْتَطَعْتُمْ**».

ولو قال الله جَلَّ وَعَلَا: «وما آتاكم الرسول من أمر فاعملوا به»: لكان فيه شدة علينا،

ولكن الله جَلَّ وَعَلَا رحيم بنا، ولكن الله جَلَّ وَعَلَا أنزل لنا كتابا، هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أرحم بنا من أمهاتنا، وفي كتابه جَلَّ وَعَلَا نور بصائرنا لمن تأمله ونظر فيه.

فقوله: ﴿فَخُذُوهُ﴾: يكون بالإيمان والتصديق والامتثال، وإن قدرت على العمل بالمأمورات فاعمل، وإلا فلا.

فلذلك -أيها الموفق- اعلم أن كثيرا من الناس يؤتى أجرا على أعمال لم يعملها. ثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إِنَّ إِخْوَانًا لَكُمْ فِي الْمَدِينَةِ مَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا، وَلَا رَقَيْتُمْ جَبَلًا، إِلَّا كَانَ لَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَمَا لَكُمْ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**».

إذن: هؤلاء القوم أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذوا أمر الله جَلَّ وَعَلَا بشيئين:

- بالتصديق.
- وبالعزم على العمل.

صدَّقوا، وعزموا على العمل، ولكن جاءهم من العوارض ما جاءهم، فتُمِّم لهم الأجر عند الله جَلَّ وَعَلَا.

وفي صحيح البخاري من حديث أبي موسى الأشعري، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا مَرِضَ العَبْدُ، أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا**». هذا من فضل الله عَزَّ وَجَلَّ، هذا ليس لغير المؤمن، لأن المؤمن أخذ أمر الله جَلَّ وَعَلَا بالتصديق، وبالعزم على العمل.

ولما ذكر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرجلين اللذان كان أحدهما أوتي مالا فصرفه في هلكته، وأما الآخر فإنه لم يؤت مالا، ولكن قال: «لو أن الله رزقني مالا لفعلت مثلما فعل الآخر».

ماذا قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؟

قال: «**فهما في الأجرِ سواءٌ**».

لمَ؟

لأن الاثنين كلاهما لما جاءه الخبر عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أخذه، صدَّق به، وعزم على العمل، وإنما صرف الثاني ما صرفه وهو عدم القدرة والاستطاعة.

واسمع هذا الحديث، فقد جاء أن رجالا من فقراء أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، جاءوا لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله سبقنا أهل الدثور بالأجور -الذين عندهم أموال وأغنياء- يتصدقون ولا نتصدق، ويجهّزون ولا نجهّز غازيا، ويحجّون ولا نستطيع هذا البذل. فدلّهم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ على ثلاث كلمات: أن يسبحوا الله، وأن يحمدوه، ويكبروه، دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرّة. فذهبوا، فقال: «إنكم إن فعلتم ذلك سبقتم من كان قبلكم، ولم يأت أحد بعدكم بمثل ما فعلتم إلا أن يفعل مثلكم». فذهب هؤلاء وفعلوا ذلك فكان أجرهم عظيما. ثم جاءوا للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بعدُ، فقالوا: يا رسول الله إن إخواننا قد علموا بذلك وفعلوا.

ماذا قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؟

قال: «**ذلكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ**».

إن من الفقه أن تعلم ما الضمير المقصود بذلك؟! يعود لماذا؟

بعض الناس يقول: «**ذلكَ فَضْلُ اللهِ**»، يعود للمال. ليس بصحيح، وإنما قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ «**ذلكَ فَضْلُ اللهِ**»، الضمير يعود للعلم، فإن الثاني أعطاه الله فضله لما علموا

هذه السنة، وعملوا بها. ففضل الله عليهم بالعلم، وما تبع العلم من الأخذ بالتصديق والعمل. هذا فضل الله جَلَّ وَعَلَا، هذا هو فضل الله عَزَّوَجَلَّ، ولذلك في قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ﴾ [النحل: ٧١]، **قال ابن عباس**: «**فضَّله في العلم**». أعظم ما يعطي المرء من الرزق: رزق العلم. وإذا تمِّمت هذه النعمة بالعمل بالعلم، فهذه هي غاية الرجاء، ونهاية المنى.

إذن: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]، خذوه: صدّقوا به، اعزموا على العمل به، إن وُجد موجبه فاعملوا.

والمؤمن -أيها الإخوة- إذا جاءه هذا الخبر عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأحكام، عمل بها، ولكن -كما ذكرت لك- ليس كل ما نُقل أو رُوي يعمل به. وإنما يُعمل بما صحَّ به النقل أولا، ولا يعرف الصحيح من النقل إلا العالم، وإنما يعمل بالناسخ المحكم دون المنسوخ والمتشابه، ولا يعلم ذلك إلا العالم، إنما يُعمل بالمحكم دون المتشابه، فالمطلق يحمل على المقيد، وهكذا من المعاني والدلائل الموجودة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يعلم ذلك إلا عالم. ولذلك قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ﴾ [النحل: ٧١].

إذن: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]، ﴿فَخُذُوهُ﴾، ولذلك -أيها الإخوة- هذه الآية تدلنا على مسألة عظيمة جدا، وهو أن المؤمن يعظم بحسب تعظيمه للسنة، ويكبر قدره عند الله جَلَّ وَعَلَا، وعند خلقه بحسب تعظيمه للسنة.

❁ يقول ربنا جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح: ٤]، **أي**: ذكر محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قالوا معنى ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ **أي**: أمران متعلقان بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويُلحق بها ما كان

فيه معناه.

فأما الأمران المتعلقان بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن الله رفع ذكره، فلا يذكر الله جَلَّ وَعَلَا إلا ذكر معه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ولذا فإن قاعدة فقهائنا: حيث وجب ذكر الله جَلَّ وَعَلَا فيجب الصلاة على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

◈ الأذان: يجب فيه الشهادة، ويجب فيه الشهادة الثانية.

◈ الصلاة يجب فيها ذكر الله جَلَّ وَعَلَا، ويجب فيها -بل هي ركن عن المشهور- الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

◈ صلاة الجنازة فيها تكبير وقراءة، فيجب فيها الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

◈ خطبه الجمعة: يقولون لا تصح خطبة، بل لا تصح أيٌّ من الخطبتين، إلا وأن يذكر فيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصيغة الصلاة عليه، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كُلُّ أَمْرٍ لَا يُبْتَدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللهِ، فَهُوَ أَبْتَرْ**». فيجب حمد الله في كل من الخطبتين، ويجب الإتيان بأركانها الأربع وجوبا. فمن أخلَّ بركن من أركان الخطبة الأربع، فقد [..] خطبته، أو إحدى خطبتيه:

◈ الحمدلة.

◈ والصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

◈ وقراءة آية.

◈ والوصية بتقوى الله جَلَّ وَعَلَا، وليست لها صيغة، فكل أمر فيه وصية وموعظة فهي كذلك.

إذن: كل موضع يذكر فيه الله جَلَّ وَعَلَا وجوبا، فيجب ذكر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معه.

هذا المعنى الأول.

❁ **المعنى الثاني**: في معنى قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ۝٤﴾: أن الله عَزَّ وَجَلَّ إنما يبقي محامد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويُنسي مساوئه. ولذلك يقول ابن هشام في «**السيرة**»، قال: وقد قيل في بني هاشم بعض أبيات الشعر في مذامِّهم، ولكنها طُويت وما رُويت، لمقام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يذكر فيه سوء، ومن ذكره بسوء أذلَّه الله جَلَّ وَعَلَا. وأحلف غير حانث في بيت الله جَلَّ وَعَلَا، أن كل من أراد أن يستنقص النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نفسه، أو في عرضه، أو في سنته التي قالها، والله لَيُضِلَّنَّهُ الله جَلَّ وَعَلَا في الدنيا، ناهيك عن الآخرة. ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر: ٣]، وهذا من رفعة الله جَلَّ وَعَلَا له. هذا المعنى المتعلق بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأما المعنى الثاني الملحق به: وهو فيمن اتبع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن من اتبع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن الله سيرفع ذكره. الذي يُعنى بسنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكرا، وقراءة، وتعلّما، وعملا، وتفقها، فإن الله رافع ذكره. كل من ذكر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا، فإن الله سيذكره في الآخرة. ولذلك من صلى على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاة، صلى الله عليه بها عشرا. وأكثر الناس صلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم الذين يروون حديثه.

أَهْلُ الْحَدِيثِ هُمُ أَهْلُ النَّبِيِّ وَإِنْ ... لَمْ يَصْحَبُوا نَفْسَهُ أَنْفَاسَهُ صَحِبُوا

هذا الأمر الأول.

الأمر الثاني: أن صاحب العناية بسنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علما، وعملا، وتعلّما، وغيره،

فإن الله عَزَّوَجَلَّ يرفع درجته في جنات النعيم. إذ أعلى الناس درجة في الجنة، أعلمهم بكلام الله وكلام رسوله، وكلاهما وحي من الله جَلَّوَعَلَا. والعلماء درجتهم في الجنة عالية.

الأمر الثالث: أن هؤلاء الذين يُعنون بالسنة: علما، وتعلّما، وعملا، فإن الله يرفعهم على أهل الدنيا كذلك. فقد دعا النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حينما قال: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، فَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِن سَامِعٍ**».

قال سفيان بن عيينة: «ولذا ترى في وجه من عُني بالسنة نضرة ببركة دعاء النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ».

وقد عُني بالعلوم كثير من أهل العلم، وما ذكر أحد في كتب التراجم كما ذكر من عُني بسنة صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. يذكر الرجل في عشرات الكتب لا لشيء، إلا لأنه روى حديثا عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيذكر في الكتب إما مدحا، أو قدحا في تضعيف روايته، وهذا من رفعة من روى حديثا عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. فإن غيره من العلوم وإن كان بعضها من علوم الآلة، بل من علوم الأصول، أو العلوم القريبة من الشريعة، قد لا يذكر كما يذكر المعنيون بالحديث.

فأنا قصدي من هذا الكلام كله والاستطراد قبل قليل، أن نعلم أنَّ من أخذ سنة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فإن جزاءه عظيم، ومنزلته عالية، ودرجته سامية في الدنيا وفي الآخرة.

ومن العجيب ما ذكره أبو طاهر السِّلفي رحمة الله عليه -وهو من علماء القرن السادس الهجري، كان في خراسان، وتوفي في الإسكندرية في آخر عمره- قال كلمة، قال: «**إنَّ من عُني بالحديث تأذَّن الله بطول عمره**»، لأن الحديث ينقل بعضه عن بعض، فمن عُني

بحديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عملا، وقراءة، وإقراء، فإن الله يمد في عمره. وقد رُوِّينا كما عند ابن ماجه: «تَسمَعُونَ، ويُسمَعُ منكُم».

يقول ربنا جَلَّ وَعَلَا -نرجع لهذه الآية العظيمة- ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧].

إذن: عرفنا أن قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَخُذُوهُ﴾ أن المراد بالأخذ:

◈ أولا: التصديق. التصديق بماذا؟

- بالخبر. وتصديق الخبر بدون تأويل، ولا تنزيل، إلا على ما جاء به النقل.
- وتصديق بالأمر: أنه من عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

◈ الأخذ الثاني: إن كان أمرا فبالعزم على العمل، ولربما أُجر المرء على النية أكثر مما يؤجر على العمل. وقد رُوِّينا عن الديلمي في «**مسند الفردوس**» أن نية المؤمن أبلغ من عمله. ولكن من الذي ينوي؟ لا يمكن أن ينوي رجل العمل الصالح إلا أن يكون عالما به. كيف تنوي أن تعمل سنة وأنت لست عالما بها؟ ولذلك نية المؤمن أبلغ من عمله لما كان عالما بها.

◈ الأمر الثالث: وهو العمل والامتثال: وهنا يتفارق الناس في العمل، ولذلك كان العمل داخلا في مسمى الإيمان، وكلما كان العمل أتم، كلما كان الإيمان أكمل. و-أيها الإخوة- تأملوا في هذا الحديث الذي قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ يُصلّي ولَيْسَ لَهُ منْ صَلَاته إِلَّا نِصْفُهَا، ثُلُثهَا** ... إلى أن قال: **عُشْرُهَا**».

سؤال: كيف أن هذا وهذا أجر أحدهما أكثر؟

الجواب: لأن الأول يعلم أين يضع يديه إذا قام، وإذا ركع، وإذا سجد. يعلم كيف يقبض يده في جلسة التشهد، فيقبض الخنصر والبنصر، ويحلق بالوسطى والإبهام، ويشير بالسبابة. يعلم أين يضع يديه إذا كبَّر، فقد جاء من حديث ابن عمر ومالك بن الحويرث بنحوه -لأن مالك بن الحويرث بنحوه أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا كبَّر جعل يديه محاذية لمنكبيه، وأن المراد بالمحاذاة: محاذاة وسط اليد، وأن موضع اليدين في التكبير كموضعهما في السجود كما في حديث ابن عمر.

يعلم هل اليد تقبض في الصلاة أم تبسط، هل تضم الأصابع أم أنها تفرق.

يعلم أن السنة جاءت أن الصلاة كلها تكون اليد فيها مضمومة الأصابع، ليست مقبوضة وإنما مضمومة الأصابع: في التكبير، وفي السجود، وفي كل هيئة، إلا في الركوع فالسنة أن تكون مفرجة الأصابع.

من يعرف ذلك؟ من قرأ سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. منها قول سعد بن أبي وقاص في مسلم: «**أمرنا أن نضع الأيدي على الرُّكب**».

هذه الأمور يتفارق فيها الناس، أمور تعلمها في يوم واحد، تعمل بها عشرات السنين، يأتيك أجور عظام وأنت لا تعلم. ولذلك يوردون في بعض الأخبار أن العبادة من العالم أعظم أجرا من العبادة من غيره، لأنه في كل حركة يفعلها يعلم أن فيها سنة.

روى أبو بكر المروزي في كتاب «**الورع**» أن **سفيان الثوري كان يقول**: «إن استطعت ألا تحك رأسك إلا بحديث وسنة فافعل»، هذا من باب المبالغة. ما معنى هذا الكلام؟ تعلم سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل شيء، حتى تعلم السنة إن وُجدت سنة في حك الرأس، مع

أنه لا أعلم فيها سـنة، لكن ربما فيها، لأن الرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تكلم بحديث كثير، كما قال أبو ذر: قام بنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الفجر إلى غروب الشـمس يتكلم، لا ينزل إلا ليصلي، أو لحاجة المرء كطعام وأكل وقضاء حاجة. قال: فما ترك شيئا إلا وخبّرنا منه، وما من طائر في السماء إلا وأعطانا علمه، علمه من علمه ونسيه من نسيه.

هذا من الصـحابة، وكذلك منا، فإن منا من يعلم من أحاديث الرسـول ما لا يعلمها الثاني. وإن منا من يفقه من معاني حديث رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما لا يفقهها الثاني.

إذن: ﴿فَخُذُوهُ﴾ والأخذ في الناس متفاوت، وبعضـهم من يأخذه بقوة، وبعضـهم من يأخذه بلين وضعف، وبعضهم يشد الأخذ فيقطع، أين هذا في حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَنْ يُشَـادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ**»، عليكم بالرفق، «**وَلَنْ يُشَـادَّ الدِّينَ**»، وفي لفظ: «**وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا رَدَّه**».

إذن: حتى الأخذ، أحيانا قد تأخذ الحديث على غير وجهه، ولكن التوفيق والسداد.

كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل ليلة يدعو الله عَزَّ وَجَلَّ في افتتاحه لقيام الليل، في وقت فاضل، وفي عمل صالح، وفي هدأة عين، وسكون، ورجاء إجابة، ماذا كان يقول؟

يقول: «**اللَّهمَّ ربَّ جبريلَ وميكائيلَ وإسـرافيلَ فاطرَ السَّـمواتِ والأرضِ**» ثم قال ماذا؟ «**اهدِني لما اختُلِفَ فيهِ منَ الحقِّ بإذنِكَ إنَّكَ تهدي من تشاءُ إلى صِراطٍ مستقيمٍ**».

هذه سنرجع لها قبل أن أختم بدقيقتين أو ثلاث لضيق الوقت.

أقول -أيها الإخوة-:

فقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشـر: ٧]، عرفنا كيف أن هذا من

بليغ الكلم، ولذلك هذه الآيات -أيها الإخوة- عندما سمعها المشركون كانوا يعرفون دلائل الألفاظ، ليس كحالنا، فإننا نقرأ الآي، تمر على ألسنتنا، ولربما لم نتفقه في معانيها. لما سمع المشركون هذا الكلام، قالوا إن هذا الكلام له حلاوة، وإن له طلاوة، وإن هذا الكلام لا يكون من بشر، هذا من كلام رب العالمين جَلَّ وَعَلَا.

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧].

● ثم قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]، انظروا: ما نهى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وزجر، فإن المسلم ينتهي عنه، وحينما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَٱنتَهُواْ﴾، لم يقل: «فكُفُّوا»، لأن فرقًا بين الكف والانتهاء، لأن الانتهاء فيه أجر، وأما الكف فلا أجر له.

ولذلك عندنا قاعدة: أن كل ما كان من باب الترك والكف المحض فإنه لا يحتاج إلى نية. قالوا مثل: إزالة النجاسات من أفعال التروك فلا تحتاج إلى نية.

إذن: فعل ترك: هو كل ما كان من أفعال التروك، فلا تحتاج إلى نية.

وكل ما لا نية فيه فالأصل ألا أجر فيه.

لكن لما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَٱنتَهُواْ﴾، يَدُلُّك على أنك قاصد النهي، قاصد الامتناع، وقاصد الانكفاف، فتؤجر عليه حينذاك.

ولذلك فإن الصائم ليس كافا عن الأكل والشرب، وإنما هو ممتنع قصدا، والأصوليون يرون أن فعل الصائم من باب الامتناع فهو فعل، وأما الكف فليس بفعل، وإنما هو من باب الترك.

إذن: فلا بد للمســلم أن ينوي بترك النهي، أن يتركه. ما لا يؤجر على الترك إلا من علم أن هذا محرم، وقصد الترك حينذاك. يقصده، يقصد الترك، فحينئذ يكون أجره.

ومن نعم الله جَلَّ وَعَلَا أنه فرَّق بين ما جاء به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويشــمل الأمر، وبين النهي. فجعلهما منفصلين، لأن الله عَزَّ وَجَلَّ قد خفف علينا في باب الأوامر من جهة، وخفف علينا من باب النواهي من جهة.

فأما من باب الأوامر: فإن الله عَزَّ وَجَلَّ خفف علينا بأن المرء إذا لم يســتطع فعلا، فإنه يسقط عنه، إما لبدل أو لغيره. ولذلك عدم الاستطاعة لأمور مختلفة، والتخفيف إما لبدل، أو لتخفيف في الصــفة: كالركعات، أو في الهيئة: كالجلوس في الصــلاة مثلا، أو التخفيف بالإسقاط بالكلية، أو غير ذلك من صور التخفيف المذكورة عند أهل العلم لما تكلموا عن أن المشقة تجلب التيسير.

بينما النهي: فالنهي لا تخفيف فيه، إنما هو كف بالكلية، كف ولكنك إن اضــطررت فقد اســتثنى الله جَلَّ وَعَلَا ذلك فأباح لك فعل المنهي عند الاضــطرار في الجملة. وكذلك النهي أخف من الأمر في بعض الأمور.

مسألةٌ: ما هو وجه كون النهي أخف؟

الجواب: أن الفقهاء يقولون: إن النســيان والجهل يجعلان الموجود معدوما، ولا يجعلان المعدوم موجودا. فيعذر بالجهل والنســيان: المنهيات. ولا يعذر فيهما في المأمورات.

ولذلك لما تكلم ابن القيم عن أيّها أخطر؟ فعل المنهيات أم ترك المأمورات؟

ذكر خلاف أهل العلم، قال: والأصح أن ترك المأمورات مع الاستطاعة أعظم جرما. ولذلك إبليس لما ترك مأمورًا لُعن إلى قيام الساعة، وأما آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنه فعل منهيًا فعاقبه الله عَزَّوَجَلَّ عقوبة أخف بكثير من فعل الثاني.

طبعا هذه المسألة ينبني عليها عدة مسائل.

❐ **أختم حديثي -أيها الإخوة- بأمرين مهمَّين، أؤكد عليهما بعدما ذكرتهما مجملا ...، هذه الآية: أحظ الناس بها ثلاثة، من وجدت فيه ثلاثة أوصاف:**

❁ **الوصف الأول**: من عُني بسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعلّما، وتفقها، وحفظا، ونظرا، وإدامة مطالعة. وقد كان صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كجابر وغيره، يرحل من بلدة لبلدة بعيدة، ليسمع حديثا لم يسمعه من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولو أردت أن تقرأ في سير الأوائل في تعلّمهم حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لرأيت عجبا، **يقول ابن أبي حاتم**: «أكلنا لحم السلحفاة في أيام كثيرة من شدة الجوع في الرحلة في طلب الحديث».

والإمام أبو الوقت السجزي -رحمة الله عليه-، أخرجه أبوه من خراسان في وسط أفغانستان تقريبا أو باكستان، ليطلب الحديث في بغداد، ويقرأ البخاري، فلما خرج وكان صغيرا تعب في الطريق، -ابنه: أبو الوقت السجزي- فقال له أبوه: احمل حجرين. فحمل الحجرين، ثم بعد ذلك تعب في الطريق، فقال له أبوه: ارم أحد الحجرين، فلم يبق معه إلا حجر، فوجد من نفسه نشاطا، فمشى، ثم تعب، فقال له أبوه: ارم الثاني، فوجد من نفسه نشاطا، فمشى، ثم تعب بعد ذلك، فحمله أبوه على ظهره، حتى إذا وصلوا بغداد، روى

البخاري عمن رواه عن الفربري، فكانت رواية أبو الوقت السجزي -لأنه تعب في تحصيله- من أشهر الروايات وأدقها، وقد وجدت بخطه في هذا الزمان، وهي من أصح النسخ وأدقها ضبطا ورواية، وليس بينه وبين البخاري إلا عبدا أو اثنان أو ثلاثة.

ولذلك التعب في علم الحديث وطلبه، شيء عظيم جدا. لابد للإنسان أن يتعب، لابد أن يسهر، لابد أن يحصّل. العلم لا ينال براحة البدن، وإنما ينال بتعب البدن، وبجهده، وببذل الوسع، ولذلك قال محمد بن شهاب الزهري: «**العلم إن أعطيته كُلَّك، أعطاك بعضه، وإن أخذته جمله، ذهب منك جملة**»، تأخذه في يوم، سيذهب عنك بعد قليل، لو خرجنا من هذه المحاضرة لربما كان أكثرنا وأنا الأول، لو قلنا لخص ما سبق، سيقول لا أدري، لم يبق منها إلا ثلاثة أو اثنين بالمائة، والباقي نسي. هكذا العلم، إذا أخذته جملة، ذهب جملة. ولكن مع التكرار، ومع الإعادة، ومع النصب، ومع السهر، فحينئذ يصبح سجية وصنعة.

جاء عند ابن عبد البر أن معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما حضرته الوفاة بكى. فقيل له يا معاذ، أنت صاحب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتبكي؟ قال: «**والله ما بكيت على الدنيا لغرس أشجار، ولا لجري أنهار، وإنما لمكابدة الليل، وصيام الهواجر، ومزاحمة العلماء بالركب**». يعلم أن المزاحمة بالركب، وتحصيل العلم -وأعظمه سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بعد كتاب الله جَلَّ وَعَلَا- فإن هذا من أعظم العبادات عند الله جَلَّ وَعَلَا، ومن أعظم القربات إليه جَلَّ وَعَلَا.

﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ﴾ [النحل: ٧١].

❁ **والوصف الثاني** الذي يكون من أحظى الناس به، من أكثر من دعاء الله جَلَّ وَعَلَا أن

يرزقه هذا العلم. إذا كان محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو بالعلم، وهو الذي يتنزل عليه الوحي صبحا وعشيا، وهو الذي صدَّق الله عَزَّ وَجَلَّ لسانه، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ۝٤﴾ [النجم: ٣ – ٤]، يسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يُريه الحق حقًا وأن يرزقه اتباعه. يسأل الله عَزَّ وَجَلَّ العلم. يسأل الله الهداية. يسأل الله عَزَّ وَجَلَّ ذلك، فمن كان بعده يكون أحرى منه بهذا الوصف. ولذلك المسلم دائما يسأل الله عَزَّ وَجَلَّ الهدى، وقد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدل بعض أصحابه أن يقولوا: –لما قال لمعاذ إني أحبك– «**لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**».

ذكر الله جَلَّ وَعَلَا هو العلم بكتابه، وبسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ألم تسمع حديث عطية العوفي عن أبي سعيد، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ**».

ذكر الله كتابه، فأعظم الذكر كتاب الله، وسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أعنّي على معرفتهما، وشكر الله عَزَّ وَجَلَّ على هذه النعمة، وتقديرها قدرها، ثم العمل بعد ذلك. فكان معاذ من فقهاء الصحابة –رضوان الله عليهم–. فالإنسان يدعو الله دائما.

وقد ألّف بعض أهل العلم –وهو ابن السني– كتابا عظيما، سماه: «**رياضة المتعلمين**»، هذا الكتاب ذكر فيه أمورا يبتدأ بها طالب العلم، نقلها بالسنة والخبر عن الصحابة، ومن ذلك: الإكثار من الابتهال، والالتجاء، والدعاء للجبار جَلَّ وَعَلَا.

۞ **الأمر الثالث** الذي أختم به حديثي قبيل الأذان، أن من أحظ الناس بهذه الآية: الذي يتعلم العلم، ويكثر من سؤال الله جَلَّ وَعَلَا، والأمر الثالث: الذي يكل العلم لربه جَلَّ وَعَلَا.

كان الصحابة -رضوان الله عليهم- إذا تكلم أحدهم، وقد نقل ذلك عن جماعة كابن مسعود، وغيره، كما نقله الشيخ تقي الدين في «**المنهاج**» كان إذا تكلم أحدهم بالكلمة، قال: «**إن يك صوابا فمن الله، وإن يك خطئا فمني ومن الشيطان**».

المرء إذا أعجب بنفسه، وظن بها الظن، وظن أنه أعلم الناس، وأنه أفقههم لأنه أوتي لسانا وبيانا وفصاحة ونباهة أو حفظا واستظهارا، فهذا هو الهلاك.

وقد جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إنَّ من البيانِ لسحرًا**». قال أهل العلم هذا مقام الذم. وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**البيان شعبة من النفاق**».

فأحيانا عندما يكون المرء كذلك، فهذه علامة شر أحيانا. ولذلك الإمام أحمد لما حضرته الوفاة، قال: «**يا فلان: أوص عبد الوهاب ابن عبد الحكم الوراق بأن يلزم طريقته، فإني بُليت بالشهرة، ومن بُلي بالشهرة فتن**».

الإنسان إذا أوتي نصيبا من العلم فيجب عليه دائما أن يكل هذا العلم لربه جَلَّ وَعَلَا، وألا يعجب بنفسه، وما هلك من هلك، وأولهم: الذي آتاه الله عَزَّ وَجَلَّ آياته فانسلخ منها، وجاءت بعض الأخبار أن اسمه «بلعام»، هذا الرجل إنما أعجب بنفسه، وظن بها الظن، فحينئذ هلك. فالمؤمن دائما ينسب الخير لربه، ولا يظن بنفسه أمرا، وإنما يعلم أنه من إحسان الله عَزَّ وَجَلَّ وجوده وكرمه. ولذلك فإنه يسأل الله عَزَّ وَجَلَّ هذا الأمر، ويكله له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

هذه الأمور الثلاثة إذا اتصف بها المرء فإنه حينئذ يكون محسنا.

فإذا عرف المرء هذه الأمور الثلاثة، فليسع أولا لتعظيم السنة في قلبه، وتوقير هذه السنة، وتوقير السنة يكون بأمور:

◈ الأمر الأول: بإكثار الصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن من أثنى على امرئ أحبه، ومن دعا له أحبه. خذ قاعدة: كل من يدعو لشخص يحبه.

ولذلك يقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما جاءه رجل، قال إنه يكون بيني وبين قرابتي ما يكون بين القرابات، -ما يكون بين القرابات من الحزازات والقيل والقال والتحاسد والتقارن وهكذا-، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فأين أنت من الدعاء لهم؟

ولذلك -أيها الأخوة- إن الهدايا نوعان:

◈ هدايا أبدان تقبض بالأيدي.

◈ وهدايا أرواح وقلوب، إنما هي بالدعاء. من دعا لامرئ أحبه. دائما كل من يدعو لآخر يحبه، ولذلك قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خِيَارُ أَئِمَّتِكُمْ مَنْ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ**»، يعني: تدعون لهم ويدعون لكم.

ولذلك قال أهل العلم كما نقله جماعة [..] استحب أهل العلم بإجماع، الدعاء لولاة الأمر، وإن كان فيهم ما فيهم من نقص وظلم ونحوه. مستحب بإجماع.

فالمقصود من هذا: أن الدعاء يجعل الشخص يحب الذي يدعو له. وأعظم دعاء يدعى به للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تصلي عليه: «**اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**».

هذه الصيغة التي ذكرتها قبل قليل، هي أفضل الصيغ في الصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحها إسنادا. فقد ذكر عبد الله ابن الإمام أحمد عن أبيه أن هذه أصح

الصيغ، وكل ما ورد عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصح، يجوز، ولكن أصحها ما ذكرت لك. وقبل أن نخرج لنجعلها تحفظ منا. أفضل صيغة للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي: «**اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**».

هذه أصح الصيغ، قال الإمام أحمد: وأختارها لأنها أقوى إسنادا. وإن صليت على أي صيغة جاز، فأنت عندما تدعو للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحبه، فأقرب الناس منزلة من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجنة، وامتثالا لأمره، وتعظيما لقدره في الدنيا، من صلى عليه، وأفضل الصلاة عليه ما اختاره النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلمها أصحابه، وهي هذه الصيغة. أما الصيغ المبتدعة [..] وغيرها، هذه صيغ مبتدعة غير مشروعة، وليست من دين الله عَزَّ وَجَلَّ في شيء، وكتاب «دلائل الخيرات» وغيره، كل هذا غير مشروع.

مسألةٌ: ما معنى الصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ عندما تقول: اللّٰهُمَّ صل على محمد، ما معنى «صلِّ»؟

الجواب: صلاة الله جَلَّ وَعَلَا على عباده، ذكره لهم. فأنت تقول: يا ربِّ اذكر محمدا، واغفر له. فأنت تدعو الله عَزَّ وَجَلَّ أن يغفر لمحمد وأن يعلي درجته.

«**وعلى آل محمد**»: قال الإمام مالك، والإمام أحمد أن المراد بـ «آل محمد» في الدعاء، إنما هم المؤمنون جميعا. وأما «**آل محمد**» في باب الزكاة فيعنى بهم بنو هاشم، وقيل بنو المطلب، كالرواية الثانية من قول الشافعي [..] لأن تمَّام الرازي روى في «**الفوائد**» أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل من آلُك؟ فقال: «**كُلُّ تَقِيٍّ**».

فحينئذ الدعاء يقصد به: اللهم سلِّم وارفع كل الأتقياء من آل محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا المعنى.

إذن: فأكثر من الصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

◈ الأمر الثاني: أكثر من سماع حديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمرء إذا أكثر من سماع حديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصبح بأذنه كما ... ابن القيم في كتابه «**المنار المنيف**»، يستطيع أن يميِّز قوله من قول غيره، من كثرة سماعه للأحاديث، من كثرة سماعه للحديث الصحيح دون غيره.

◈ الأمر الثالث: إياك إياك أن تروي أو تنقل حديثا لم يثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. «**مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بحديثٍ، وهو يُرَى** - **أي**: يظن- **أَنَّه كَذِبٌ؛ فهو أحَدُ الكاذِبَيْنِ**»، وما جزاء الكاذب؟ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**».

◈ الأمر الرابع: -وأقوله على سبيل الإيجاز في الأمور هذه الأخيرة- احذر أن تقول في سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برأيك، أو أن تجتهد فيها بظنك. سئل أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن قول الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ [عبس: ٣١]، ما المراد بالأبّ؟ قال: «**أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي، وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي، إِنْ قُلْتُ فِي كِتَابِ اللهِ مَا لَا أَعْلَمُ**».

وسئل عنها عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: «**وَيْحَ عُمَرْ وأَبِيهِ وأُمِّهِ إِنْ قَالَ فِي كِتَابِ اللهِ مَا لَا يَعْلَمُ**». والقول في سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كالقول في كتاب الله جَلَّ وَعَلَا لأنهما وحي. فاحذر أن تؤول كلام رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على غير وجهه، فإن ذلك مضلَّة أفهام، ومزلَّة أقدام. وكثير من الناس ضلَّ. نعم، ... معذور.